1 - نصوص استماع كتاب الطّالب

الوحدة الأولى: أَتَحمَّلُ مسؤوليَّتي

كتبتْ فدوى طوقان تَصِفُ حياتَها بعدَ أنْ أُجبِرتْ، وهيَ في المرحلةِ الابتدائيّةِ، على تَرْكِ المدرسةِ:

في تمّوزَ مِنْ عامِ ألفٍ وتسعِمئةٍ وتسعةٍ وعشرين. عادَ أَخي إبراهيمُ مِنْ بيروتَ، واستقرَّ في نابُلُسَ ليُمارسَ مِهنةَ التَّعليمِ. كانتْ عاطفةُ حُبّي لهُ قدْ تكوَّنَتْ مِنْ تَجمُّعِ عدّةِ انفعالاتٍ طُفوليّةٍ سعيدةٍ كانَ هوَ مُسبِّبَها وباعثَها؛ أوّلُ هديّةٍ تلقّيتُها في صِغري كانتْ منْهُ، أوَّلُ سَفَرٍ منْ أَسفارِ حياتي كانَ برِفْقتِهِ، كانَ هُوَ الوحيدَ الَّذي مَلأَ الفراغَ النّفسيَّ الّذي عانيْتُهُ بعدَ فُقدانِ عَمّي. والطِّفولةُ الّتي كانتْ تبحثُ عنْ أبٍ آخرَ يحتضنُها بصورةٍ أفضلَ وأَجملَ، وجدَتِ الأبَ الضّائعَ مَعَ الهديّةِ الأُولى، والقُبلةِ الأولى الّتي رافقَتْها، والّتي كانَ قدْ أحضرَها إليَّ منَ القدسِ أيّامَ كانَ تلميذًا. تلكَ الهديّةُ كانتْ أوّلَ أسبابِ تعلُّقي بإبراهيمَ ذلكَ التَّعلّقَ الّذي راحَ يتكثَّفُ فيما بعدُ بصورةٍ قويّة، كانَ تعاملُهُ معي يعطيني انطباعًا بأنّه مَعْنِيٌّ بإسعادي وإشاعةِ الفرحِ في قلبي.

معَ إقامةِ إبراهيمَ في نابُلُسَ بدأَ سطرٌ جديدٌ في حياتي؛ أصبحَتْ خِدمتُه وتهيئةُ شؤونِه هدفَ حياتي، ومصدرَ سعادتي المفقودة؛ أُرتِّبُ غرفتَه، وأمسحُ الغبارَ عنْ رُفوفِ كتبِهِ وَعَنْ طاولتِهِ، وَأُهيّئُ لهُ كلَّ صباحٍ الماءَ السّاخنَ لحلاقةِ ذقنِهِ، وأُحضرُهُ إليه، كما كانَ عليَّ تحضيرُ المائدةِ لَهُ في أوقاتِ وجَباتِه كلِّها. بكلِّ هذا وسِواهُ أَلزمْتُ نفسي، وكانَ يُسعدُني أنَّهُ اختصَّني دونَ باقي أَخَواتي بالقيامِ برعايةِ شؤونِه، فتحمُّلُ مسؤوليَّتِهِ كانَ منْ حُبِّ الأُختِ لأَخيها.

تشبّثَ قلبي بإبراهيمَ تشبُّثَ الغريقِ بمَركَبِ الإنقاذِ. كانَ إبراهيمُ لنا يَنبوعَ حبٍّ وحنان، يُغدِقُ علينا منْ عطائِهِ، ويمنحُنا مِنْ وقتِهِ ومساعدتِهِ إذا لَزِمَتِ المساعدةُ. كنْتُ أَخافُ عليهِ منَ الأذى والمرضِ، وأصبحَ همّي تنظيفَ الأرضِ والتقاطَ ما يُلقي بهِ أطفالُ الدّارِ منْ بذورِ البرتقالِ أوْ قُشورِهِ خوفًا منْ أنْ يَطَأَها إبراهيمُ، فتُزلِقَ قدَمَهُ ويسقطَ فيصيبَهُ الأَذى. أصبحَ هوَ وَحدَهُ الهواءَ الّذي تتنفّسُهُ رِئتايْ؛ هواءَ الصّحّةِ والعافيةِ النّفسيّة؛ فقدْ كانَ حُبُّهُ لي واهتمامُهُ الخاصُّ بي يُضفيانِ عليَّ شعورًا إنسانيًّا بالرِّضا.

في تلكَ المَرحلةِ القاسيةِ مِنْ سنواتِ مُراهقتي كانتْ يدُ إبراهيمَ هيَ حبلَ السّلامةِ الّذي تدلّى وانتشلَني مِنْ بئرِ نفسي المُوحِشَةِ المُكْتَنَفةِ بالظَّلام. وكانَ أَشدُّ ما عانيتُهُ حِرماني منَ الذَّهابِ إلى المدرسةِ، كانَتْ

أُختي أَديبَةُ تجلسُ في المساءِ لِتَحضيرِ دُروسِ اليومِ التَّالي، تفتحُ حَقيبةَ كتبِها، وتنشُرُ دفاترَها حولَها، وتَشْرَعُ في الدِّراسةِ وعملِ التَّمارينِ المُقَرَّرةِ، وهُنا كنْتُ أَهرُبُ إلى فراشي؛ لأُخفيَ دُموعي تحتَ الغِطاءِ.

نظرَ إليّ إبراهيمُ وصمَتَ، ثُمَّ قالَ فَجأةً: سَأَعلّمُكِ نَظْمَ الشِّعرِ، هَيَّا مَعي. هذهِ القصيدةُ سأقرأُها لكِ، وأفسّرُها، ثمَّ تَنقُلينَها إلى دفترٍ خاصٍّ، وتَحفظينَها غَيْبًا لِأَسمعَها مِنْكِ هذا المساءَ عنْ ظَهْرِ قَلب. في المساءِ أَسمعْتُهُ القصيدةَ غَيبًا دونَ خطأٍ أوْ تلكُّؤٍ في تِلاوتِها. حينَ أَويتُ إلى فراشي ذلكَ المساءَ كنْتُ أَحتضِنُ بينَ ذراعيَّ دفترًا ذا لونٍ حَشيشيٍّ باهت، وقَلَمًا أزرقَ اللّونِ، وعيدًا منْ أعيادِ الشُّعورِ! ها أَنا أَعودُ إلى الدّفاترِ والأقلامِ والدّراسةِ والحفظِ، ها أَنا أعودُ إلى جنّتي المفقودةِ.

فدوى طوقان

رحلة جبليّة رحلة صعبة (سيرة ذاتيّة)

بتصرف

موقع الإيمان التعليمي

جرشُ مدينةُ الأعمدةِ

كانَ الصّبيُّ يتراكضُ معَ أترابِهِ بينَ أعمدةِ جرشَ وشوارعِها العتيقةِ، بينَ آثارِ هذهِ المدينةِ السّاحرةِ، ويَطبَعُ في ذهنِهِ المشاهداتِ وهذِهِ الرُّؤى الخالداتِ؛ منَ السّاحةِ الرّئيسةِ، إلى المسرحِ الجنوبيِّ، إلى المدرّجِ، إلى شارعِ الأَعمدةِ، إلى قَبوِ (زِيوسَ)، إلى استراحةِ جرشَ السّياحيّةِ. كَبِرَ الصّبيُّ وكبِرَ معهُ حبُّهُ وعشقُهُ لسهولِ جرشَ، وجبالِ جرش، ووديانِ جرشَ، وشمسِ جرشَ السّاطعةِ الّتي يراها على جدرانِها أظهرَ منْها على جدرانِ جاراتِها، حتّى النّهارُ هناكَ أجملُ؛ فَهُوَ يحتضنُ جرش.

يتناولُ الصّبيُّ ريشتَه وألوانَه، ويحاولُ رسمَ شارعِ الأَعمدةِ، يُمَزِّقُ الصّفَحاتِ: الأُولى، والثّانيةَ، والثّالثةَ إلى أَنْ ينالَ رضا أُستاذِهِ.

كبِرَ الصَّبيُّ وأصبحَ فتًى يافعًا، ومُشارَكَةً منْهُ في يومِ النَّشاطِ المدرسيِّ جَمَعَ بعضَ الصُّورِ الّتي التقطَها لهذِهِ المدينةِ في رِحْلاتِه، وأَضافَ إليها بعضَ البِطاقاتِ والرُّسوماتِ الَّتي ابتاعَها مِنْ (أَكشاكِ) رَبَّةِ عَمّونَ ومكتباتِها، وإنْ شئتَ فإنّكَ تستطيعُ تسميتَها (فيلادلفيا). أَقولُ: جَمَعَ هذهِ الصُّورَ والبِطاقاتِ وَوَضَعَها بِصورةٍ أَنيقةٍ في كُرّاسةٍ خاصَّةٍ مِنْ صُنْعِهِ، وقدَّمَها إِلى مَعْرِضِ مَدرستِهِ، فَنالَ استحسانَ مديرِ المَدرسةِ وأساتذتِها وتقديرَهُم، ومُنِحَ جائزةً تقديريّة.

ظَلَّتْ جرشُ تعيشُ في وِجدانِ هذا الفتى الحالم، وكانتْ أشبهَ ما تكونُ بالمدينة الفاضلةِ عندَهُ، وظلَّ عِشْقُهُ لَها يَزدادُ في كلِّ زِيارةٍ، وفي كُلِّ رِحلةٍ كانَ يَرى فيها شيئًا جَديدًا، بَلْ أَشياءَ، وفي كلِّ رحلةٍ كانَ يَخالُ الحِجارةَ المُتراكمةَ والأَعمدةَ المُتناثِرةَ تُحدِّثُهُ عنْ عَظَمةِ (جَراسا)، وفنِّ (جَراسا)، ولَيلِ (جَراسا) البَهيمِ الآسر؛ الأَعمدةُ المُلقاةُ على التُّرابِ بزخارفِها تَنطِقُ بعباراتٍ كأَنَّها حديثُ السُّيوفِ الصَّدِئةِ، والرِّماحِ المكسورةِ. الإِزميلُ الّذي نَحَتَ هذِهِ التِّيجانَ، والأبوابَ، ومصاريعَها، وواجهاتِها إزميلُ فنّانٍ ينقُلُ نُضْرةَ الدّاليةِ وبَوحَ الرَّيحانِ إلى الحجر، ثمّ يُصعِّدُه ليتحدّثَ صامتًا إلى العينِ والخَيالِ، هذِهِ الحِجارةُ تتناغَمُ مَعَ القصيدةِ، وَهِيَ تُحاكي آثارَ تَدْمُرَ وساحاتِ تَدْمُرَ وأَبهاءَ تَدْمُرَ. فالزَّخارفُ صدًى عميقٌ للإيمان بالله، وعجائبِ صُنعِهِ في خَلْقِهِ، وتَعبيرٌ عَنْ جماليّةٍ في الكونِ والنّفسِ، وعَرْضٌ لأَجملِ أشكالِ النَّباتِ والزَّهرِ.

كَبِرَ الفتى وأصبحَ شابًّا ناضجًا، وبعدَ أَنْ أنهى المرحلةَ الجامعيّةَ الأولى عَمِلَ في وِزارةِ التّربيةِ

والتَّعليمِ، وفي تِلكَ السَّنواتِ السَّبعِ كانَ يصطحِبُ طُلّابَهُ إلى آثارِ جرشَ، إلى هذِهِ الحضاراتِ الّتي مرّتْ مِنْ هُنا، إلى هذِهِ الحضاراتِ الّتي سادَتْ ثُمَّ بادَتْ.

وكانَ هذا المُعلِّمُ يتألّمُ ويَتَأَسَّى أَحيانًا لِجَهْلِ أَبنائِهِ بِتاريخِ وطنِهِمْ وأُمَّتِهِمْ، وإلى هذا الحين، ما زالَ صاحبُنا يصعَدُ إلى أَعلى درجاتِ مُدرَّجِ جرشَ، ويُسرِّحُ طَرْفَهُ بَعيدًا، يُراقِبُ الْجبالَ المكسوّةَ بالرّداءِ الأَخضرِ الْجميل، يُشاهدُ أَبعدَ ما يُمكنُ لِمِنْظارِهِ أَنْ يَختَطِفَ مِنْ مَناظر، يُناديهِ الصَّحْبُ: هَلُمَّ، وهُوَ يتفكَّرُ في ذلِكَ البُعدِ اللّا مُتناهي، في ذلكَ الجَمالِ الهادئِ الصَّامتِ.

أسامة شهاب، جرش تاريخُها وحضارتُها، ص 11–13 (بتصرُّف)

موقع الإيمان التعليمي

ابنُ سينا الشّيخُ الرّئيس

بعضُ العباقرةِ يَنبُغون في وطن من الأوطان، أو في عصر من العصور، فيُستغرَب نبوغُهم فيه، أمّا ابنُ سينا فلا يُستَغرَب نبوغُه في عصرِه ولا في وطنِه ولا في بيتِه.

وُلدَ ابنُ سينا في بيت علمٍ سنةَ 370هـ، ونشأ في بُخارَى، وهي موطنٌ من مواطن العلم في ذلك العصر، فحفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة، وتعلّم اللّغة، والفقه، والمنطق، والرّياضةَ، والجغرافيّةَ، وعلمَ الهيئة؛ وهو الاسمُ القديمُ لعلمِ الفَلَكِ. وقد بلغ في هذه العلومِ غايتَها وهو في الثّامنةَ عشرةَ من عمره. وكان من عادته إذا تحيّر في مسألة أن يتردّدَ إلى الجامع ويصلّي، ويبتهلَ إلى «مُبدع الكلّ» حتّى يتيسّرَ عليه فهمُها.

وقد كان دون الخامسةَ عشرة حين اطّلع على بعض مراجع الطّبّ، فتعلّق بها، وعَكَفَ على قراءتِها، وقال: «إنّ علم الطّبّ ليس من العلوم الصّعبة»، ولم يبلغِ السّابعةَ عشرةَ حتّى ذاعتْ شهرتُه بالتّطبيب، وقد تمكّنَ، وهو لم يتجاوز السّابعةَ عشرةَ، من علاج الأمير نوحِ بنِ منصور بعد أنْ عجَزَ الأطبّاءُ المشهورونَ عن علاجه، فقرّبه الأمير، وأذِن له في الاطّلاع على دار كتبه، فرأى من الكتب ما لم يعرفْ اسمَه كثيرٌ من النّاس، فنال من تلك المكتبة العظيمة فوائدَ كثيرة.

وعلى الرُّغم من أنّه كان يفضّل الفلسفة والرّياضيّات على الطّبّ وسائر العلوم، إلّا أنّ الأثرَ الّذي تركه في الطّبّ كان الأشهرَ من بين ما ترك من عشرات المؤلّفاتِ في العلوم المختلفة؛ فقد أضحى طبيبَ العصرِ في الشّرقِ كلِّه، ثمّ إنّ كتبَه انتقلت إلى الغرب فأصبح طبيبَ العالمِ بأسره مدّةَ أربعةِ قرون. وقد تُرجمَ كتابُه «القانون» في الطّبّ إلى اللّغة اللّاتينيّة فأصبح مرجعًا للدّراسات الطّبّيّة في أوروبّا من أقصاها إلى أقصاها، وظلّ يدرَّس في بعض جامعات أوروبّا حتّى منتصف القرن السّابعَ عشر؛ بل إنّ علماءَ أوروبّا كانوا يرون هذا الكتابَ جديرًا بتحمّل المشقّة في سبيل فهمه ونقلِه إلى الأوروبّيّين؛ فقد كانوا ينظرون إليه كما ينظرون إلى وحيٍ من السّماء؛ يقول الطّبيبُ والمؤرِّخُ النّمساويّ ماكس نويْبِرْغَر في كتابه عن تاريخ الطّبّ: «إنّهم كانوا ينظرون إلى كتاب «القانون» كأنّه وحيٌ معصوم». وقد استحقَّ ابنُ سينا لقبَ الشّيخ الرّئيس، وهو اللّقبُ الّذي عُرفَ به تقديرًا لمنزلته في الطبّ والفلسفة واللّغة وسائرِ ما أتقن من العلوم، وقد أنجزَ هذا المنجزَ العظيمَ في عمرِه الّذي لم يُجاوز سبعًا وخمسين سنة.

الشّيخ الرّئيس ابنُ سينا: عبّاس محمود العقّاد
بتصرّف

الوحدة الرابعة: الرّياضة حياةٌ

صورٌ من تاريخ كرة القدم

ونجمها بيليه

هذه صورةٌ ممّا جرى في بطولة كأس العالم لكرة القدم عام 1970؛ فيحفظ تاريخُ كرة القدم أنّ منتخَبَ البرازيلِ لعبَ في هذه البطولةِ كرةَ قدم برغبة ناسِها الاحتفاليّة، ومشيئةِ البرازيليّينَ الجماليّة والهجوميّة، في زمنٍ كانَ قدْ فُرِضَ فيه على العالمِ كرةُ القدم الدّفاعيّةُ الّتي تترك الفريقَ كلَّهُ في المؤخِّرة؛ ليمنعَ دخولَ أيِّ هدفٍ في مرماه، وصارت العفويّة الإبداعيّة محظورة. كانت البرازيلُ تلكَ السّنةَ حدَثًا مذهلًا؛ لقد قدّمتْ فريقًا مندفعًا إلى الهجوم؛ فريقًا يلعب بأربعة مهاجمينَ، وقد يصبحون خمسة أحيانًا، بل ستّةً أيضًا، وفي المباراة النّهائيّة سحقت هذه الكتيبةُ الهجوميّةُ إيطاليا.

بعد ربع قرن من ذلك، بل بعد أربعةٍ وعشرين عامًا تحديدًا، صارت تلك الجرأة تُعَدُّ انتحارًا؛ ففي مونديال 1994 فازت البرازيل بمباراة نهائيّة أخرى ضدَّ إيطاليا، ولكنّها فازت بعد مباراة دفاعيّة، بضربات الجزاء التّرجيحيّة، بعد مئة وعشرين دقيقة دون أهداف.

لكنّنا نظلّ متعلّقين بذلك النّمط من اللّعب الهجوميّ الحرّ، ولا ننسى بيليه، وكيف كان يطيرُ في الهواء ليضربَ الكرةَ برأسِه في (مونديالِه) الأخير عام 1970؛ فقد روى بورْغْنِيتش المدافعُ الإيطاليُّ الذي كان يرصُده، قال: «قفزنا معًا، ولكنّني حين رجعتُ إلى الأرض رأيتُ أنّ بيليه ما زال يطفو في الأعلى».

لقد ربِحَ بيليه ثلاثَ بطولاتٍ عالميّة مع المنتخب البرازيليّ، ولعب ما يزيد على ألف وثلاثمئة مباراة، في ثمانين بلدًا، مباراةً بعد أخرى بإيقاعٍ أشبهَ بالجَلْد، وسجّلَ قَرابةَ ألفٍ وثلاثِمِئة هدف، وفي إحدى المرّات أوقف حربًا؛ فقد توصلت نيجيريا وبَيَافْرا إلى هُدنة لمشاهدته وهو يلعب.

فرؤيته وهو يلعب تستحقُّ هدنةً وأكثرَ من هدنة بكثير؛ عندما ينطلق بيليه راكضًا يخترق الخصوم وكأنّه سكّين، وعندما يتوقّف يَضيعُ الخصومُ في المتاهات التي ترسمها قدماه، وحين يقفز يعلو في الهواء كما لو أنّ الهواء كانَ سُلَّمًا، وعندما يسدّد ضربة حرّة يَرغَبُ الخصومُ الّذين يشكّلون الحاجزَ في الوقوف بالعكس؛ وجوهُهم إلى المرمى؛ لئلّا يضيّعوا مشاهدة الهدف الّذي سيحقّقه.

كرة القدم في الشّمس والظّلّ: إدوارد غاليانو

بتصرّف

قالوا في المثَل:

أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ

وَهُمْ يَقصِدونَ حاتمًا الطّائيَّ، وَكانَ مِنْ سادةِ العربِ وفُرسانِهم في الجاهليَّةِ، وكانَ جَوادًا شاعرًا شُجاعًا، إذا قاتلَ غَلَبَ، وإذا سُئِلَ وَهَبَ، وإذا أَسَرَ أَطْلَقَ، وإذا مَلَكَ أَنْفَقَ، وكانَ أَقسمَ باللَّهِ لا يَقتُلُ واحدَ أُمِّهِ.

ومِنْ حديثِهِ أنَّ امرأةَ حاتمٍ، واسمُها ماويّة، قالَتْ: أَصابَتِ النَّاسَ سَنَةُ مَحْلٍ شديدة؛ أَجْدَبَتْ فيها الأرضُ لاحتباسِ المطرِ، فيبِسَتِ المراعي، وهلَكَتِ المَواشي، فَبِتْنا ذاتَ لَيلةٍ بِأَشدِّ الْجوعِ، فَأَخَذَ حاتِمٌ وَلَدَنا عَدِيًّا، وأخذْتُ أنا ابنتَنا سَفَّانَةَ فعلَّلْناهُما ولهَّيْناهُما حتَّى ناما، ثُمَّ أَخَذَ حاتمٌ يُعَلِّلُني بالحديثِ لأَنام، فرَقَقْتُ لَهُ وأشفَقْتُ مِنْ حالِهِ لِما بِهِ مِنَ الجَهْد، فَأَمْسَكْتُ عَنْ كلامِهِ لِيَنامَ ويَظُنَّ أَنّي نائِمةٌ، فَقالَ لي: أَنِمْتِ؟ مِرارًا، فَلَمْ أُجِبْهُ، فَسَكَتَ. ثُمَّ نظرَ فإذا شيءٌ قَدْ أَقبلَ فَرفَعَ رأسَهُ، فإذا امرأةٌ تَقولُ: يا أَبا سَفَّانة، أَتيْتُكَ مِنْ عندِ صِبْيةٍ جِياع. فقالَ: أَحضريني صبيانَكِ، فَواللهِ لأُشْبِعَنَّهُم. قالَتْ: فقمْتُ مُسْرِعةً، فقلْتُ: ما تُطعِمُهم؟ وَبِمَ تُشبعُهُم يا حاتِم؟ فَواللهِ ما نامَ صِبْيانُكَ مِنَ الجوعِ إلاَّ بالتّعليلِ والتّلهيةِ. فقامَ إلى فَرَسِهِ فذبَحَهُ، ثُمَّ أَجَّجَ نارًا، وقالَ للمرأةِ: اللّيلةَ تَأْكُلينَ وتُطْعِمينَ ولدَكِ. وقالَ لي: أَيْقِظِي صِبيَتَكِ، فَأَيْقَظْتُ عَديًّا وسَفّانة، ثُمَّ قالَ: واللهِ إنَّ هذا لَلُؤمٌ أنْ تأكُلوا وأَهلُ الحيِّ حالُهم كحالِكُمْ، فَجعلَ يأتي البيوتَ بيتًا بيتًا، يدعو النّاسَ إلى الطَّعام، فاجتمعَ النّاسُ وأَكلوا، أَمّا حاتمٌ فقَعَد ناحيةً حتَّى لمْ يبقَ مِنَ الفرسِ على الأَرضِ قليلٌ ولا كثير، ولَمْ يَذُقْ مِنْهُ شيئًا.

وأخبارُ حاتمٍ الطّائيِّ وَجُودِهِ كثيرةٌ منتشرةٌ، وقدْ ذاعَتْ في الجاهليّةِ حتّى صارَ مَضرِبًا للمثَل، فإذا أَرادتِ العربُ وَصْفَ أَحدٍ بالكرمِ قالَت: فُلانٌ أَجوَدُ مِنْ حاتم؛ دَلالةً على جودِ الْموصوفِ وعظيمِ كرمِهِ. وزَعَمَ الطّائيّون أنَّ حاتمًا أخذَ الجودَ عَنْ أُمِّهِ غَنِيَّةَ بنتِ عفيفٍ الطائِيَّةِ، وكانَتْ مِنْ عجائبِ الدُّنيا في الجودِ والسَّخاءِ.

الميدانيّ، مجمع الأمثال، بتصرّف

2 - نصوص الاستماع لكتاب التّمارين

الوحدة الأولى (أتحمل مسؤوليتي).

يقولُ عيسى النّاعوريُّ في سيرتِهِ الذّاتيّةِ الّتي كتبَها سنةَ 1954:

قضيْتُ شُهورًا أُخرى في هذا العملِ، وأَخي يَتَسلَّمُ رَواتبي كلَّها في نهايةِ كلِّ شهرٍ، ولا يسمحُ لي مِنْها إلّا بالنَّزْرِ التّافهِ جدًّا، وبكلِّ مَشقّةٍ. وكلَّما احتجْنا إلى مَلابسَ جديدةٍ تتناسبُ معَ عملِنا الّذي يتطلَّبُ أنْ تكونَ ملابسُنا نظيفةً مرتَّبة، وهِنْدامُنا حسَنًا دائمًا، مَضى أَخي فَابتاعَ لَنا مَلابِسَ نَظيفةً مُستعمَلةً بِأَسعارٍ رَخيصةٍ جِدًّا.

ولكنْ يجبُ أنْ أَعترفَ بأنَّ أَخي لَمْ يكنْ ظالمًا؛ إنَّهُ لَمْ يُعاملْني قَطُّ بغيرِ ما يُعامِلُ بِهِ نفسَهُ، ولَمْ يَأْخذْني بقسوةٍ لَمْ يأخذْ بها نفسَهُ قبْلي، وأَنا أَحمِلُ لأَخي هذا طاقةً ضخمةً منَ الاحترامِ والتّقديرِ؛ فقدْ تحمَّلَ في حَداثتِهِ مِنْ أَلوانِ الشَّقاءِ ما لا تُطيقُهُ الحَداثةُ، لَقدْ شَقِيَ أَكثرَ ممّا شَقِيتُ أَنا؛ فقدْ كانَتْ أُمُّنا مريضةً عدّةَ سَنواتٍ مُتلاحقةٍ، فَكانَ هُوَ الّذي يقومُ بأعمالِ البيتِ كلِّها، حتّى العَجْنِ، والخَبزِ، ونقلِ الماءِ منَ العَينِ، وهُوَ ما يَزالُ طَريَّ العودِ، صغيرَ السِّنِّ، وكنْتُ حينَذاكَ أَعيشُ نوعًا منَ الرَّفاهِيَةِ المَحسودةِ في المدرسةِ الدّاخليّةِ. وكانَ أَخي يقومُ كذلكَ بأَعمالِ الحقلِ كلِّها قبلَ أنْ يَنبُتَ شاربُهُ، فَيحمِلُ بذلكَ همومَ الرَّجُلِ والمرأةِ وشقاءَهما مَعًا.

وها هوَ ذا الآنَ في هذهِ المدينةِ يشعرُ شعورَ الرّجلِ الفَذِّ بأنَّ عليهِ مسؤوليّةً اجتماعيّةً خَطيرةً؛ هيَ أنْ يَجمعَ المالَ ويرسلَهُ إلى والِدِنا في القريةِ؛ لكيْ يرفَعَ رأسَهُ بِنا أَمامَ جميعِ أهلِ القريةِ، وهكذا يتّخذُ منّا أهلُ القريةِ قدوةً لأبنائِهِم، ويَضربونَ بنا الأَمثالَ.

الشّريط الأسود: 120–121

بتصرّف

الوحدة الثّانية (وطني الأجمل)

أُمُّنا عمّانُ

وسامٌ مُعِدٌّ للبرامجِ الثَّقافيّةِ ومُقدِّمٌ لَها، يَعملُ في قناةِ الأُردنِّ الثَّقافيّةِ منذُ سنتيْنِ، وقَدْ شَعَرَ بغِبطَةٍ كبيرةٍ عندَما طَلَبَ مِنْهُ رئيسُهُ إجراءَ مُقابلةٍ تليفزيونيّةٍ مَعَ عَمَّانَ؛ وذلِكَ لِأَنَّهُ يعشقُها عِشْقًا كَبيرًا لا حُدودَ لَهُ.

جهَّزَ وسامٌ كلَّ ما يلزَمُ لإجراءِ هذا الحوارِ، ودَخَلَ (الاستوديو) وقلبُهُ يَخْفِقُ شَوقًا لرؤيةِ مدينتِهِ المحبوبةِ، بينَما دخلَتْ عمّانُ وهيَ تلبَسُ حُلَّتَها البهيَّة، سلَّمَتْ على وسامٍ وجلَسَتْ بشموخِها، وبدَأَ الحِوارُ:

— وسامٌ: أَهلًا وسَهلًا بِكِ أمَّنا البهيّةَ عمّان، أرجو أَنْ تُقدِّمي نفسَكِ للسّادةِ المشاهدين.

— عمّانُ: على الرَّحْبِ والسَّعةِ يا بُنَيَّ، أستيقظُ كلَّ صباحٍ على صوتِ شَحرورٍ جميلٍ، وأَغسلُ وجهي بالنّقاءِ والطّهارةِ، ثمّ ألبَسُ ثوبيَ الجميلَ، وأُلقي التّحيّةَ على العمّونيّينَ؛ أَقْدَمِ الشّعوبِ الّتي سكنتْني، وقدْ سمَّوْني ربّةَ عَمّونَ، واتّخذوني عاصمةً لمملكتِهم. بعدَ سنواتٍ طويلةٍ سكنَني اليونانُ، وغيّرَ القائدُ بَطْليموسُ الثّاني اسمي منْ رَبَّةِ عمّونَ إلى فيلادلفيا.

عَبْرَ سَنواتِ عُمُري الطّويلةِ سكنَني البابليّونَ، والفُرْسُ، واليونانُ، والأنباطُ، والرُّومانُ، والمسلمونَ، فشيَّدوا في كلِّ رُكنٍ منّي البيوتَ والقلاعَ والمساجدَ والكنائسَ والمسارحَ والمُدرَّجاتِ والسُّبُلَ، وغيرَ ذلكَ مِنْ معالمَ تدُلُّ عليهِم وعلى حضاراتِهمْ.

— وسامٌ: ولماذا هذا التّنازُعُ عليكِ؟

— عمّانُ: للاستفادةِ منْ مَوقعي الحَيَويِّ في الأَغراضِ الدِّفاعيّةِ والتّجاريّةِ والسَّكَنيّةِ والزّراعيّةِ والعسكريّةِ.

تابعَ وسامٌ حوارَهُ الجميلَ مَعَ عمّانَ، وفي النِّهايةِ قدّمَ شُكرَهُ الجزيلَ لها، وعادَ إلى البيتِ وهوَ يَشعُرُ بفرحٍ وسرورٍ، وحينَ مَضى إلى النّومِ تَدَثَّرَ جيِّدًا ونام.

استيقظَ وسامٌ مبكِّرًا كعادتِه، ونَظَرَ مِنَ النّافذةِ، وَجَدَ كُلَّ شَيءٍ يُشعِرُ بالفَرحِ؛ كانَتْ عَمّانُ تلبَسُ ثوبَها الأبيضَ كأَنَّها عَروسٌ في ليلةِ زِفافِها؛ ما زالَ الثّلجُ يَتساقطُ بهدوء، فيُطرِّزُ الأَرضَ بَهاءً وروعةً، ويُضْفي على القلوبِ بَهجَةً وسُرورًا.

عادَ إلى مَكتبِهِ وأخذَ يكتبُ تقريرًا عنْ لقائِه بعمّانَ، فأَمْسَكَ قلمَهُ وكَتَبَ: تَقِفُ عَمَّانُ بحُلّتِها الجميلةِ كالطَّوْدِ، تُداعِبُ الأَماكنَ بينَ يديْها بفرحٍ كأُمٍّ حَنونٍ، وتَزدانُ بالمباني القديمةِ والجديدةِ: قلعةِ عمّانَ، والمُدرَّجِ الرُّومانيِّ، وسبيلِ الحوريّاتِ، والمسجدِ الحُسَينيِّ الكبيرِ، ومسجدِ الشّهيدِ الملكِ عبدِ اللهِ الأوّلِ ابنِ الحسينِ، ومدينةِ الحسينِ للشّبابِ، والجامعةِ الأردنيّة، ومَجْمَعِ اللّغةِ العربيّةِ، والمدارسِ، والمستشفياتِ، ودورِ الرّعايةِ، والشّوارعِ الحديثةِ.

كلُّ ما في عمّانَ شاهدٌ على عظَمتِها وجمالِها.

سمعَ وسامٌ صوتًا عاليًا، فنظرَ منَ النّافذةِ، ابتسمَ وراحَ يُردِّدُ مَعَ أطفالِ الحيِّ:

يا بلادي

مثلَما يَكبُرُ فيكِ الشّجَرُ الطّيّبُ نَكبُرْ

فازرعينا فوقَ أهدابِكِ زيتونًا وزعتَرْ

واحمليْنا أملًا مثلَ صباحِ العيدِ أخضرْ

واكتبي أسماءَنا في دفترِ الحبِّ: نَشامَى

يَعشقونَ الوَرْدَ لكنْ يَعشقونَ الأَرضَ أكثرْ

محمّد درويش عوّاد

مجلّة وسام

بتصرّف

موقع الإيمان التعليمي

أبو الكيمياء: جابرُ بنُ حيّان

مهما بَعُدَتِ المسافةُ بينَ علومِ الماضي وَعلومِ اليومِ، فَما كانَ علمُ اليومِ لِتقومَ لَهُ قائمةٌ لَولا علومُ الأَمسِ، وإذا أَردْنا هذِهِ اللّفتةَ إلى الوراءِ لنعرفَ كَيفَ قامَتْ على ذلِكَ الماضي علومُ اليومِ، فإنّنا سَنَجِدُ عُلماءَ الحضارةِ العربيَّةِ الإسلاميَّةِ كالنّجومِ يسطَعونَ في سماءِ الْمعرفةِ وتاريخِ العِلْمِ، وما أَكثرَهم! لكنَّ عالِمًا مِنْ هؤلاءِ العلماءِ يُعَدُّ بِحَقٍّ إمامَ العلومِ الطّبيعيّةِ عندَ العرب؛ إنَّهُ جابرُ بنُ حيّان؛ العالِمُ الّذي ارتبطَ اسمُهُ بعلمِ الكيمياءِ لا في الشَّرقِ العربيّ وحدَهُ، بَلْ في العالَمِ بِأَسرِهِ؛ بَلْ لَقدْ كانَتِ الكيمياءُ تُخَصُّ بِهِ فتُسمَّى علمَ جابر. ولَمْ تَكُنْ أُوروبّا كلُّها تَعرِفُ مَراجعَ لِتَدريسِ علمِ الكيمياءِ إلّا كُتَبَ جابرِ بنِ حيّان، وقدِ استمرَّ هذا الحالُ قُرونًا عديدةً، حتَّى القرنِ الخامسَ عشر؛ حتَّى قالَ الفيلسوفُ الإنكليزيّ فرانسيس بيكون: «إنَّ جابرَ بنَ حيّانَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ علَّمَ عِلْمَ الكيمياءِ للعالَم؛ فَهُوَ أَبو الكيمياء».

وَقدْ كانَ ابنُ حيّانَ يَبني مَعرفتَهُ مِمّا يَتَعلَّمُ مِنْ عُلومِ اليونان، لكنَّهُ لَمْ يَكنْ يَكتفي بدورِ القراءةِ وَالإعادة، بَلْ كانَ يَبني على ما يَتعلَّمُ ويُبدعُ، ويأتي بالجديد. وَمَعَ أَنَّهُ عالِمُ العربِ الأوّلُ في مَجالِ الكيمياء، إلّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقتَصِرُ فيما جَمَعَ مِنَ العُلومِ على عِلْمِ هذا الْعِلْمِ وحدَه، فَقَدْ بَرَعَ في عُلومٍ أُخرى، منْها الطِبُّ والهندسةُ والموسيقا والفَلَك، وكذلِكَ كانَ مُشتغِلًا بالفلسفةِ، وقَدْ ذَكَرَ جابرُ بنُ حيّانَ نفسُهُ أَنَّهُ أَلَّفَ في الطِّبِّ وَحدَهُ خمسَمِئةِ كتاب، وفي الفلسفةِ ثلاثَمِئةٍ.

ونذكرُ هُنا أنَّ ابنَ حيّانَ مُؤلِّفٌ بارع؛ يَعرِضُ المعرفةَ بِصُورٍ مُختلفةٍ؛ أيْ أنَّ المادّةَ الَّتي يعرضُها في هذا الكتابِ هِيَ ذاتُها الّتي يعرِضُها في ذلِكَ الكتاب، والاختلافُ إنَّما يكونُ في طريقةِ العَرضِ وحدَها.

وقدْ كانَ للأُستاذِ الَّذي يُعلِّمُ العلمَ منزلةٌ مقدَّسةٌ عندَ جابر؛ وقدْ قالَ في ذلك: فأَمّا ما يجبُ للأُستاذِ على التّلميذِ فَأَنْ يكونَ ليّنًا يَقبلُ ما يقولُ أستاذُه، فمنزلةُ الأستاذِ هي منزلةُ العلمِ نفسِهِ، وإنَّما أُريدُ بطاعةِ التَّلميذِ للأُستاذِ أَنْ يُطيعَ التِّلميذُ أستاذَهُ في قَبولِ الْعِلْمِ، والإقبالِ على الدَّرس، وتَرْكِ التَّكاسُلِ والتّشاغُلِ عَنْهُ. وأَمّا التِّلميذُ فَمِمَّا لَهُ على الأُستاذِ أَلّا يَغفُلَ عنْهُ؛ لأَنَّهُ مُؤتَمَنٌ عليه، والّذي لا يُؤْتَمَنُ لا يُؤخَذُ مِنْهُ؛ لأَنَّ العالِمَ لا يكونُ إلّا صادِقًا.

عُمِّرَ جابرٌ حتّى جاوزَ التّسعين، وتُوفّيَ سنةَ 815م.

جابر بن حيّان: زكي نجيب محمود
بتصرّف

الوحدة الرّابعة (الرّياضة حياة)

ماذا تَعْرِفُ عَنِ الكاراتيه؟

قبلَ أنْ أُحدِّثَكَ عنِ الكاراتيه، ينبغي أنْ تعلمَ أنَّ ألعابَ الدِّفاعِ عنِ النّفسِ جميعَها تُعلِّمُكَ أوّلَ ما تُعلِّمُكَ أنَّ القوّةَ الحقيقيّةَ إنَّما هيَ في أنْ تتجنّبَ خَوضَ أيِّ قِتالٍ مَعَ أصدقائِكَ، ومَعَ سائرِ مَنْ تلقَى مِنَ النّاس، وأنَّ وجودَكَ في وضعٍ قتاليٍّ خارجَ الحلْبَةِ وقوانينِها يعني شيئًا واحدًا؛ هو أنّكَ جُرِرْتَ إلى الدّفاعِ عنْ نفسِكَ دونَ رغبةٍ منْكَ ولا إرادة.

أَمّا الكاراتيه فَهِيَ واحدةٌ مِنْ أشهرِ رياضاتِ الدِّفاعِ عَنِ النّفس وأَهمِّها على الإطلاق، وكلمةُ (كاراتيه) يابانيّةٌ مركَّبَةٌ مِنْ (كارا) وتَعني قتالًا، و(تيه) وتعني اليدَ الخالية؛ أيِ المجرَّدةَ منَ السِّلاحِ؛ وعليهِ فإنَّ كلمةَ (كاراتيه) تَعني القتالَ باليدِ الخاليةِ، وهُوَ أُسلوبُ حُسنِ التّصرّفِ للدِّفاعِ عنِ النّفسِ اعتمادًا على اللِّياقةِ البدنيّةِ، والقُوى الجسمانيّةِ والعقليّةِ، دونَ استعمالٍ للأَسلحةِ؛ فلا يقفُ هذا الفنُّ على الحركاتِ الجسمانيّة، وإنّما يَتَعدّاها إلى الفكرِ؛ فيُنمّيهِ ويُطوّرُه، وإلى النّفسِ فَيُربّي فيها الثّقةَ والجرأة، كما يَدعمُ الشَّجاعةَ والتّحكُّمَ بالإحساسِ لدى الأفرادِ.

وعندَما يتدرَّبُ لاعبو الكاراتيه معًا، فإنَّهُم يُوقِفونَ ضرَباتِهم قبلَ وصولِها للمُنافِسِ بمسافاتٍ قصيرةٍ، أوْ يَلمَسونَ المُنافسَ لَمْسًا طَفيفًا غيرَ مُؤَثِّر، ولا يَتِمُّ الضّربُ بكاملِ القوّةِ إلّا في حالةِ الدِّفاعِ عَنِ النَّفسِ أَمامَ المُعتَدينَ فَقَط.

ويستطيعُ لاعبو الكاراتيه أَنْ يرتقوا في سُلَّمِ هذِهِ اللُّعبةِ ضِمْنَ رُتَبٍ مُتنوِّعةٍ يَبلُغونَها بَوَساطةِ كِفاياتِهم وإنجازاتِهم، ويُرمَزُ لكلِّ رُتبةٍ بحزامٍ ذي لونٍ مُعيَّن؛ فالمُبتدِئونَ يلبَسونَ الأَحزمةَ البيضاءَ، أَمّا ذَوو الخبرةِ فَيَلبَسونَ الأَحزمةَ السَّوداءَ.

وتَمنح مدارسُ التَّدريبِ أَلوانًا مختلفةً تتضمَّنُ البُنّيَّ والأزرقَ والأخضرَ والبرتقاليَّ والأصفرَ لذوي الرُّتبِ المتوسّطةِ، ويتأهّلُ الطّلبةُ للرُّتبِ العُليا بعدَ أنْ يقوموا بعرضِ الأساليبِ الفنيَّةِ الّتي تقتضيها الرُّتبةُ التّاليةُ أمامَ مُمتحِنينَ مِنَ الخُبَراء المُعترَفِ بهم.

ونصحيتُنا لَكَ إذا شِئْتَ أَنْ تتمكّنَ مِنْ هذا الْفَنّ، أَلاَّ تَغتَرَّ، وأَلّا تستعرضَ قُوَّتَكَ أمامَ أصدقائِكَ؛ لأنَّ هذا يُثيرُ الهُزءَ بِكَ والسُّخريةَ منْكَ؛ فالتَّواضعُ مِنْ أَهمِّ خَصائصِ هذِهِ اللُّعبةِ؛، بَلْ يُقالُ: إنَّ الإنسانَ المغرورَ ليسَ إنسانًا مُؤهَّلًا لتَعلُّمِ الكاراتيه.

الكاراتيه: صلاح أحمد، وتعليم الكاراتيه والجيدو لمجموعة من المؤلّفين بتصرّف

الوحدة الخامسة (من أدبنا القديم)

مِنْ أَخبارِ الْبُخلاءِ

رُويَ عَنْ أَحدِ البخلاءِ أَنَّهُ كانَ يقولُ للزَّائرِ إذا أَتاه، وللجليسِ إذا طالَ جلوسُهُ: تغدَّيْتَ اليومَ؟ فإنْ قالَ: نَعَمْ، قالَ: لولا أَنَّكَ تَغَدّيْتَ لغَدّيْتُكَ بِغَداءٍ طَيِّبٍ؛ وإنْ قالَ: لا. قالَ: لَوْ كُنْتَ تَغَديْتَ، لَسَقَيْتُكَ خَمْسةَ أَقداح. فَلا يَصيرُ في يَدِ الزَّائرِ على الْوجهيْنِ قَليلٌ ولا كثيرٌ.

وحدَّثَ أحمدُ بنُ رشيد، قالَ: كُنْتُ عِندَ أَحدِ الْبُخلاءِ، وَصَبيٌّ لَهُ صَغيرٌ يلعبُ بينَ يديْهِ، فَقلْتُ للصّبيِّ: أَطعِمْني مِنْ خُبْزِكُم. قالَ: لا تُريدُهُ؛ هُوَ مُرٌّ. فقلْتُ: فاسقني مِنْ مائِكُم، قالَ: لا تُريدُهُ، هُوَ مالِحٌ. قُلْتُ: هاتِ لي مِنْ كذا وكذا. قالَ: لا تُريدُهُ، هُوَ كذا وكذا. إلى أنْ عَدَدْتُ أَصنافًا كَثيرة، كُلُّ ذلِكَ يَمنعُني إيّاهُ ويُبَغِّضُهُ إليَّ. فَضَحِكَ أَبوهُ وقالَ: ما ذنْبُنا؟ هذا مَنْ علَّمَهُ ما تَسمَع! يَعني أَنَّ البُخْلَ طَبعٌ فيهم، وفي أَعراقِهم، وطينتِهم، ولَمْ يَكُنْ ذلِكَ البَخيلُ يَستحيي مِنَ الإقرارِ بِذلكَ.

ومِنْ أَخبارِ البُخلاءِ أنَّ أحدَهُم كانَ يأكلُ ذاتَ يومٍ في أَحدِ المواضع، إذْ مَرَّ بِهِ رَجلٌ فَسلَّمَ عليه، فَردَّ البخيلُ السَّلامَ، ثُمَّ قالَ: هَلُمَّ، عافاكَ الله. فلمّا نَظَرَ إلى الرَّجلِ وقدْ هَمَّ بالرُّجوعِ يُريدُ مُجالستَهُ، قالَ لَهُ: مَكانَك؛ فإنَّ العجلةَ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ. فَوَقفَ الرَّجلُ، فَتركَ البَخيلُ طعامَهُ وأَقبلَ على الرَّجلِ، وقالَ: ماذا تُريدُ؟ قالَ: أُريدُ أَنْ أَتَغدّى معَكَ. قالَ: وَلِمَ ذاكَ؟ وَكيفَ طَعِمْتَ في هذا وصِرْتَ شريكي فيهِ؟ وَمَنْ أَباحَ لَكَ مالي؟ قال الرّجلُ: أَوَ لَيسَ قَدْ دَعوتَني؟ فَقالَ البخيلُ: ويلَكَ، لَو ظننْتُ أَنَّكَ هكذا أَحمقُ ما رددْتُ عليكَ السَّلام. إنَّما يَحسُنُ فيما نَحنُ فيهِ وأَنا الجالسُ وأَنْتَ المارُّ أَنْ تَبدأَ أنتَ فَتُسلِّم، فأقولَ أنا حينئذٍ مُجيبًا لك: وعليكُمُ السَّلام. فإنْ كنْتُ أَنا آكلًا قُلْتُ: هَلُمَّ، أقبِلْ، فَتُجيبُ أنتَ فَتقولُ: هنيئًا، باركَ اللهُ فيكَ. فَيكونُ كَلامٌ بكلام. فَأمّا كلامٌ بِفِعال، وقولٌ بِأَكْلٍ، فهذا ليسَ مِنَ العدلِ والإنصافِ! فَوَرَدَ على الرَّجُلِ المسكينِ ما لَمْ يَكنْ في حُسبانِهِ.

البخلاء، الجاحظ